جبابرة العصور الغابرة

ذكرنا في الجزء الماضي خبراً عن عظام حيوان كبير من حيوانات العصور الغابرة وجدت في ولاية بغداد . ومن المحتمل ان يوجد كثير مثلها هناك فان هذه الحيوانات كانت منتشرة على وجه البسيطة وقلما تخلو بقعة من آثارها فاذا وجدت عظام واحد منها في مكان ما ترجح ان توجد عظام غيره على مقربة منهُ . والذين لا يعلمون حقيقة هذه العظام يظنونها عظام اناس من الجبارين الذين يقال انهم كانوا يسكنون الارض قبل آدم ولعلَّ هذا القول مبني على اكتشاف مثل هذه العظام

ولعلماء الحيوان والاحافير في اوربا واميركا اهتمام عظيم بهذه الآثار فيجمعون ما يتيسَّر جمعهُ منها ويركبون بعضهُ مع بعض حتى ان القليل من عظام الحيوان الواحد قد يكفي لمعرفة الحيوان كلهِ فانهم يستنتجون شكل ما لم يكشف منهُ من شكل ما كشف وقد مهروا في ذلك جدًّا بدليل ان المكتشفات الحديثة ابدت ما استنتجوهُ استنتاجاً في غالب الاحيان

والغرض من تمثيل هذه الحيوانات على محض يراد بهِ معرفة شكلها والاستدلال بعظامها على طبقات الارض التي وجدت فيها ودرس تنوُّع الحيوانات في الاشكال والطباع بتنوُّع الاحوال . وقلما تدخل مدرسة جامعة في اوربا او دار آثار حيولوجية الاَّ وتجد فيها بعض هذه الحيوانات ممثلاً فيها يابسًا او يابسًا في جسمهِ الاصلي وشكلهِ ولونهِ ووقفتهِ حتى يظنهُ الرائي حيواناً حقيقيًّا حيًّا او مصبَّرًا

وقد زاد تفننهم الآن فمثَّلوا هذه الحيوانات في مواقفها الطبيعية تصد الفكاهة فان لاحد الالمان واسمهُ هجنبك بستاناً كبيراً قرب مدينة همبرج وضع فيهِ من كل انواع الحيوانات العائشة الآن على وجه البسيطة ولم يكتفِ بذلك بل وضع فيهِ تماثيل الحيوانات البائدة واحاطها بغابات وصخور وادغال ممَّا يظن انها كانت عائشة في مثلهِ واوقفها الوقفات التي يظن انها كانت تقفها وهي حيَّة فترى هنا حيواناً صغيرًا شرساً يشبه النمساح كبير الرجلين غليظ الذنب قد هجم على حيوان آخر اكبر منهُ جثةً واشد هولاً على ظهرهِ صفَّان من الزعانف كسفائح الحجارة طول كل زعنفة منها متر وعلى حقويهِ وذنبهِ اشواك غليظة حادة لكن هذا السلاح على مناعتهِ لم يقهِ من عدوهِ لانهُ بطيء الحركة وعدوهُ سريعها فهجم عليهِ العدو واخذ بخناقهِ ومزَّق جلدهُ

وعلى مقربة منهُ حيوان آخر اكبر منهُ هجم عليهِ حيوان شرس محدد الانياب غليظ الاضراس فارداهُ ووقف فوقهُ يمزق جلدهُ ويلتهم لحمهُ . والقاتل من آكلات اللحوم والمقتول من آكلات الاعشاب ولا عجب اذا وقع هذا فريسة لذاك . ولم تزل هذه السنَّة في الطبيعة الى الآن وهي تمشّى على الانسان كما تمشى على الحيوان فيأكل آكل اللحم آكل النبات

وهناك حيوان منتصب على رجليهِ كالقنفر بل كالطود لان رأسهُ يعلو فوق الارض ٢٥ قدمًا او نحو ثمانية امتار . ويظهر من آثار قدميهِ الباقية في الطين وقد صار صخرًا انهُ كان يحجل حجلاً كأنهُ الطائر لانك تجد آثار قدميهِ زوجًا زوجًا وبين كل زوج وآخر ٤٥ قدمًا اي ان خطوتهُ نحو ١٤ مترًا . ولهُ ذنب كبير غليظ جدًّا حيث يتصل ببدنهِ كأنهُ البدن نفسهُ وقد استدق رويدًا رويدًا فيعتمد عليهِ ويثب وثبًا في مشيهِ . ورقبتهُ طويلة وبداهُ قصيرتان وابهامهُ بارز كقرن الكركون لكن رأسهُ صغير جدًّا بالنسبة الى جسمهِ فلم يكن فيهِ من الدماغ والحيلة ما يكفي لحفظ جسمهِ الكبير في جهاد هذه الحياة فانقرض . وهذا الحيوان من آكلات العشب وقد وجدت عظام ٢٥ حيوانًا منهُ في مكان واحد ببلاد البلجيك سنة ١٨٩٨

ويليهِ حيوان آخر مشابهٌ لهُ لكنهُ اكبر منهُ وبداهُ كبيرتان كرجليهِ فيمشي على الاربع كسائر ذوات الاربع وطولهُ قد يبلغ عشرين مترًا او اكثر . واكثر طولهِ في ذنبهِ وعنقهِ ورأسهُ صغير جدًّا بالنسبة الى بدنهِ وهو من نوع العظايات الكبيرة التي كانت عائشة منذ نحو عشرة ملايين من السنين وكان بعضها من آكلات العشب وبعضها من آكلات اللحوم . وطول الحيوان الذي في هذا البستان ٦٦ قدمًا وهو مثل الحيوان الذي توجد عظامهُ الآن في معرض التاريخ الطبيعي بنيويورك وقد كشف سنة ١٨٩٩ وتوجد عظام حيوان مثلهُ في بلاد الانكليز في معرض سوث كنسنجتون طولهُ ٨٤ قدمًا انكليزية وارتفاعهُ ٣٠ قدمًا ولكن صاحب البستان اختار تمثيل الحيوان الذي توجد عظامهُ في معرض نيويورك لانها اتم

وهذا الحيوان وهو اكبر ذوات الاربع التي كشفت عظامها حتى الآن لم يكن فيهِ من القوة والحيلة ما يمكنهُ من التغلب على غيرهِ فتغلب غيرهُ عليهِ وانقرض نسلهُ . ولكن لم يتم الغلب عليهِ الاَّ بعد حروب سالت فيها الدماء كأن الدنيا كانت ميدانًا للجهاد والعراك من حين دبَّ عليها حيوان بل النباتات نفسها تتنازع البقاء ولو لم يكن لحروبها صوت يسمع ولا دم ينظر . ولقد كانت الارض مكانًا مشاعًا لتلك الحيوانات ولم يكن فيها انسان ينازعها السلطة ومع ذلك لم تعرف ان تعيش بالمهادنة والمسالمة بل ناصب بعضها بعضًا العداء الى ان انقرض

ضعيفها من امام قويها و بقي منها اصلحها للبقاء او فصلت بينها البحور

و بين الحيوانين الاخيرين بحيرة فيها من الحيوانات الشبيهة بوحيد القرن ولكلٍّ منها ثلاثة قرون بارزة من رأسهِ محددة كقرون الكركدن وذنب كبير غليظ ووراء رأسهِ مغفر لهُ اشواك بارزة فوق عنقهِ ولقمهِ منقار كمنقار الطائر فقد جمع هذا الحيوان في شكلهِ بين خواص الطيور في رأسهِ والدبابات في بدنهِ والزحافات في ذنبهِ . وطولهُ ٢٥ قدماً وطول رأسهِ متران ومن رأي الاستاذ مارش ان هذا الحيوان متوسط بين ذوات الاربع والدبابات التي من نوع العظاية ولكنهُ بالغ في امتيازهِ على غيرهِ فانقرض نسلهُ سريعاً شأن كل من يحب الامتياز

وهناك حيوان آخر اقدم من هذه وهو كالنعامة الهائلة ويخالفها في طول عنقهِ وصغر رأسهِ واغرب منهُ التنانين الطيارة والزحافات الطيارة وهي ذات اذناب طويلة غليظة كذنب التمساح ولها مناقير طويلة مسننة

وقد رسمنا بعض هذه الحيوانات في الصورة المقابلة فترى فيها صورة الحيوان الذي على ظهرهِ صفان من الزعانف الكبيرة وتحتهُ صورة الحيوان الذي لهُ ثلاثة قرون في رأسهِ وعلى عنقهِ مغفر ذو اشواك حادة . وتحت هذا صورة حيوان آخر من هذه الحيوانات واقف على رجليهِ كالقنفر

ولا يستطيع تمثيل هذه الحيوانات في احوالها الطبيعية الاَّ مثل ماهر فانتدب صاحب البستان لهذا العمل رجلاً من اشهر ممثلي الحيوانات في اوربا وهو النحات بالنبرج واضطرَّ هذا ان يزور متاحف اوربا الكبيرة ويرى ما فيها من آثار هذه الحيوانات ويصورها كلها من جهات مختلفة ويستشير مشاهير علماء الحيوان ويأتي برسوم بقايا هذه الحيوانات من متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك . ثم صنع امثلة لهذه الحيوانات من الطين وعرضها على علماء الحيوان ليروها وينتقدوها وكل ما انتقدوهُ واشاروا بتغييرهِ غيَّرهُ وعرضهُ عليهم ثانيةً واستمرَّ على ذلك الى ان اقروا على صحة تماثيلهِ ولذلك يصحُّ ان يقال ان اشكال هذه الحيوانات صحيحة علميًّا كأنها الحيوانات الاصلية بالذات

وقد رأينا عظام البعض من هذه الحيوانات في فلسطين متحجرة بين الطبقات الكلسية ولا يبعد ان توجد عظام غيرها في العقبات كما وجدت في الفيوم بالقطر المصري فيحسن بالذين يعثرون عليها ان يحفظوها لعلماء الاحافير لان منها فائدة علمية